الجمع بين
رأيي الحكيمين

قدم له وحققه الدكتور ألبير نصري نادر
من أساتذة الفلسفة بالجامعة اللبنانية
في طبعة أولى سنة ألف وتسع مئة وستين
في المطبعة الكاثوليكية - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للمطبعة الكاثوليكية

تمهيد

بعد ما نشرنا كتاب « آراء اهل المدينة الفاضلة » للفارابي(١) رأينا ان ننشر كتاب « الجمع بين رأيي الحكيمين : افلاطون الالهي وارسطوطاليس » ، للفارابي ايضاً ، حتى نوضح مدى اطلاعه على الفلسفة اليونانية عبر ما وصل اليه من ترجمات لها ، وكيف اعتمد هو على هذه الترجمات في المحاولة التي قام بها في هذا الكتاب .

ولما كان في محاولة الفارابي هذه شيء من التحيز والتضليل ، رأينا ان نقدم لها بعرض لفلسفة كل من افلاطون وارسطو ، لتوضيح مذهب كل منهما ؛ ثم اتبعناه بعرض موجز لفلسفة افلوطين ، اذ ان الفارابي اعتبر كتاب « الاثولوجيا » كانه لارسطو فعلاً ، وهو في الواقع عرض لبعض تاسوعات افلوطين مع التعليق عليها .

ثم عرضنا حركة الترجمة التي نشطت خصوصاً في العصر العباسي ، ولا سيما في عهد المأمون ، حتى نوضح اولاً كيف انتشرت الثقافة اليونانية في الاصقاع التي سيفتحها فيما بعد العرب ، ثم كيف وصل هذا التراث اليوناني الى مفكري الاسلام .

اما كتاب « الجمع » فاننا اتخذنا اساساً لنشرتنا هذه الطبعة التي نشرها لاول مرة ديتريصي في ليدن سنة ١٨٩٠ معتمداً على : ١ — مخطوط لندن رقم ٤٢٥ (وحسب القائمة الجديدة رقم ٧٥١٨) ، وقد رمزنا الى هذا المخطوط بحرف « ا » ؛ ٢ — مخطوط برلين (بترمن ٢ ، ٥٧٨ ص ٨٦—١١٨) ، وقد رمزنا اليه بحرف «ب» ؛ وقد رمزنا بحرف «د» الى ملاحظات ديتريصي .

ثم ظهرت في مصر طبعة اولى لهذا الكتاب عام ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م ، معتمدة على طبعة ديتريصي ، وتلتها طبعات أخرى تجارية . لذلك رأينا ان نعيد طبع هذا الكتاب مع المقدمات اللازمة له ، ومنها مقدمة تحليلية تسبقها نبذة عن حياة الفارابي . وقد ذكرنا في الهوامش الاختلافات بين النسختين الخطيتين الآنفتي الذكر ، وقد تبيّن لنا ان احداهما ان لم تكن كلتاهما كتبتا عن طريق الاملاء لا عن طريق النسخ المباشر وذلك للشبه الكبير في اصوات الكلمات المختلفة حروفها .

في عرضنا للفلسفة اليونانية اعتمدنا خصوصاً على كتاب « تاريخ الفلسفة اليونانية

---

(١) المطبعة الكاثوليكية — بيروت ، الطبعة الاولى سنة ١٩٥٩ .

(الطبعة الثانية ــ القاهرة سنة ١٩٤٦) ليوسف كرم ، وعلى كتاب « دروس في تاريخ الفلسفة » لابراهيم بيومي مدكور ويوسف كرم . كما اننا اوردنا ترجمة، قمنا بها ، لجزء يسير من محاورة « المينون » حيث يعرض فيــه افلاطون نظريته في المعرفة ، وهذه النظرية هي محور كل فلسفته .

اما فيما يتعلق بموضوع الترجمة، فكان اعتمادنا خصوصاً على الكتب التالية : ــ «الفهرست» لابن النديم (طبعة مصر ١٣٤٨هـ)ــ« إخبار العلماء بأخبار الحكماء » للقفطي (طبعة مصر ١٣٢٦ هـ) ــ « عيون الانباء في طبقات الاطباء » لابن ابي أصيبعة (القاهرة ١٨٨٢) ــ « وفيات الاعيان » لابن خلكان (القاهرة ١٢٩٩ / ١٨٩٢) ــ « مختصر تاريخ الدول » لابن العبري (بيروت ١٩٥٨) ــ « ضحى الاسلام » لاحمد امين (القاهرة ١٣٥٧/١٩٣٨)جـ ٢ ــ « تاريخ الفلسفة العربية » جزآن لحنا الفاخوري وخليل الجر (بيروت ١٩٥٧ / ١٩٥٨) ــ « تاريخ الفلسفة في الاسلام » دي بور، ترجمة ابو ريدة (القاهرة ١٩٥٤) .

ونأمل ان يجد القارئ في هذه المقدمات مقياساً للحكم على قيمة المحاولة التي قام بها الفارابي في كتابه هذا .

« البير نادر »

مقدمة

القسم الاول

لمحة عن الفلسفة اليونانية

غرضنا هنا عرض اهم نواحي الفلسفة اليونانية التي تأثر بها مفكرو الاسلام . فقد بدأنا بحركة السوفسطائيين اذ انهم اول من اثار المسائل الخاصة بالمعرفة وبالمبادئ الخلقية وعليهم ردّ سقراط الذي ارشد تلميذه افلاطون الى طريق المعرفة الحق، وتبع افلاطون تلميذه ارسطو الذي وضع اسس المنطق وطبقه في مختلف ميادين المعرفة . واخيراً حاول افلوطين ان يحذو حذو افلاطون فانتهى الى مذهب الفيض .

هذه هي اهم نواحي الفكر اليوناني التي تأثر بها مفكرو الاسلام ونوجزها هنا .

السوفسطائيون

بعد ان دحرت اثينا الفرس وحفظت لليونان استقلالهم وعقليتهم ، مضى هؤلاء يستكملون اسباب الحضارة بهمم جديدة ، ونبغ فيهم العلماء والشعراء والفنانون والمؤرخون والاطباء والصناع . وقويت الديموقراطية في جميع المدن ، وتعاظم التنافس بين الافراد ، فزادت اسباب النزاع امام المحاكم والمجالس الشعبية ، وشاع الجدل القضائي والسياسي . فنشأت من هاتين الناحيتين الحاجة الى تعلم الخطابة واساليب المحاجة واستمالة الجمهور، ووجد فريق من المثقفين المجال واسعاً لاستغلال مواهبهم ، فانقلبوا معلمي بيان . وهؤلاء هم السوفسطائيون ، ملأوا النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد(١).

وكان اسم « سوفيسطس » يدل في الاصل على المعلم ، وبنوع خاص على معلم البيان . ثم لحقه التحقير في عهد سقراط وافلاطون ، لان السوفسطائيين كانوا مجادلين مغالطين ، وكانوا متجرين بالعلم ، وكانوا يفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على

---

(١) يوسف كرم : « تاريخ الفلسفة اليونانية » – طبعة ثانية ، ص ٤٥ وما بعدها .

السواء . ومن كانت هذه غايته فهو لا يبحث عن الحقيقة . فجادلوا في ان هناك حقاً وباطلاً ، وخيراً وشراً ، وعدلاً وظلماً بالذات ؛ فاذاعوا التشكك في كل ذلك ، ومجدوا القوة والغلبة . ومن متاجرتهم بالعلم اصابوا مالاً طائلاً وجاهاً عريضاً . واشهرهم اثنان :

بروتاغوراس (٤٨٠ — ٤١٠) :

ولد في ابديرا وقدم اثينا عام ٤٥٠ حيث نشر كتاباً اسماه «الحقيقة» ؛ ومما جاء فيه : « لا استطيع ان اعلم ان كان الآلهة موجودين ام غير موجودين ، فان اموراً كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم ، اخصها غموض المسألة وقصر الحياة »، وجاء ايضاً : « الانسان مقياس الاشياء جميعاً ، هو مقياس وجود ما يوجد منها ، ومقياس لا وجود ما لا يوجد » . وشرحها افلاطون في محاورة «تيتياتوس» بقوله : « ان الاشياء هي بالنسبة اليّ على ما تبدو لي ، وهي بالنسبة اليك على ما تبدو لك ، وانت وانا انسان » . — فالمقصود بالانسان هنا الفرد من حيث هو كذلك ، ولما كان الافراد يختلفون سناً وتكويناً وشعوراً ، وكانت الاشياء تختلف وتتغير ، كانت الاحساسات متعددة بالضرورة متعارضة : اليس يحدث ان هواء بعينه يرتعش منه الواحد ولا يرتعش الآخر ، ويكون خفيفاً على الواحد عنيفاً على الآخر (١)، فيعلق افلاطون قائلاً : « حسب رأي بروتاغوراس لا يوجد شيء هو واحد في ذاته وبذاته ، ولا يوجد شيء يمكن ان يسمى او ان يوصف بالضبط... لأن كل شيء في تحول مستمر » وعلى ذلك تبطل الحقيقة المطلقة ، ويمتنع الخطأ .

غورغياس (٤٨٠ — ٣٧٥) :

اصله من صقلية ، قدم اثينا سنة ٤٢٧ . وضع كتاباً في « اللاوجود » ، وتتلخص اقواله في قضايا ثلاث :

١ — لا يوجد شيء ، ٢ — اذا كان هناك شيء فالانسان قاصر عن ادراكه ، ٣ — اذا فرضنا ان انساناً ادركه فلن يستطيع ان يبلغه لغيره من الناس . وشرح هذه القضايا هو :

١ً — اللاوجود غير موجود من حيث انه لا وجود . — والوجود اما ان يكون قديماً او حادثاً : فان كان قديماً فهذا يعني ان ليس له مبدأ ، وانه لا متناه ، ولكنه محوى في مكان ، فيلزم ان مكانه مغاير له واعظم منه ، وهذا يناقض كونه لا متناهياً ، واذن فليس الوجود قديماً . اما ان كان حادثاً ، فاما ان يكون قد حدث بفعل شيء

(١) لهذا دعا الاسلاميون مذهبه « بالعندية » : رأى كل فرد حق « عنده » وبالقياس اليه .

موجود او بفعل شيء غير موجود : في الفرض الاول لا يصح ان يقال انه حدث، لانه كان موجوداً في الشيء الذي احدثه ، فهو اذن قديم ... وفي الفرض الثاني الامتناع واضح .

اما عن القضية الثانية فانه يقول : لكي نعرف وجود الاشياء يجب ان يكون بين تصوراتنا والاشياء علاقة ضرورية هي علاقة المعلوم بالعلم ، اي ان يكون الفكر مطابقاً للوجود ، وان يوجد الوجود على ما نتصوره . ولكن هذا باطل ، فكثيراً ما تخدعنا حواسنا ، وكثيراً ما تركب المخيلة صوراً لا حقيقة لها .

واما عن القضية الثالثة فترجع حجته الى ان وسيلة التفاهم بين الناس هي اللغة ، ولكن الفاظ اللغة اشارات وضعية اي رموز ، وليست مشابهة للاشياء المفروض علمها ، فكما ان ما هو مدرك بالبصر ليس مدركاً بالسمع والعكس بالعكس ، فان ما هو موجود خارجاً عنا مغاير للالفاظ ، فنحن ننقل للناس الفاظاً ولا ننقل لهم الاشياء ، فاللغة والوجود دائراتان متخارجتان(١) .

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٨، ٤٩.

سقراط

(٤٦٩ – ٣٩٩):

هذه الحركة السوفسطائية كانت خليقة ان تقضي على الفلسفة اليونانية ، ولكن جاء سقراط فوجه الفلسفة وجهة جديدة ، ونفخ فيها روحاً منعشة فاستأنفت سيرها الى الامام .

ولد في اثينا سنة ٤٦٩ ، وعلّم فيها . وقد اتخذ موقفاً معارضاً لموقف السوفسطائيين. وكان لبحثه مرحلتان تدعيان « التهكم والتوليد » . ففي الاولى كان يتصنع الجهل ، ويتظاهر بتسليم اقوال محدثيه ، ثم يلقي الاسئلة ويعرض الشكوك ، شأن من يطلب العلم والاستفادة ، بحيث ينتقل من اقوالهم الى اقوال لازمة منها ولكنهم لا يسلمونها فيوقعهم في التناقض ويحملهم على الاقرار بالجهل . فالتهكم السقراطي هو السوآل مع تصنع الجهل او تجاهل العالم . وغرضه تخليص العقول من العلم السوفسطائي اي الزائف ، واعدادها لقبول الحق .

وينتقل الى المرحلة الثانية ، فيساعد محدثيه بالاسئلة والاعتراضات مرتبة ترتيباً منطقياً للوصول الى الحقيقة التي اقروا انهم يجهلونها ، فيصلون اليها وهم لا يشعرون ، ويحسبون انهم اكتشفوها بانفسهم(١) .

فالتوليد هو استخراج الحق من النفس . وكان سقراط يقول في هذا المعنى انه يحترف صناعة امه – وكانت قابلة – الاّ انه يولد نفوس الرجال .

وكان في جدله يعني كل العناية بحد الالفاظ والمعاني الدائر عليها الحديث ، بخلاف السوفسطائيين الذين كانوا يعولون على اشتراك الالفاظ وابهام المعاني ويتحاشون الحد الذي يكشف المغالطة .

وكان يستخدم الاستقراء ، فيتدرج من الجزئيات الى الماهية المشتركة بينها ، ويحاول حد هذه الماهية . وتنحصر الفلسفة عنده في دائرة الاخلاق . وكان قد اتخذ شعاراً كلمة قرأها في معبد دلفي ، هي : « اعرف نفسك بنفسك » ، فحول النظر من المسائل الطبيعية الى النفس الانسانية .

وتدور الاخلاق على ماهية الانسان ، وكان السوفسطائيون يدعون ان الطبيعة الانسانية شهوة وهوى ، ويرتبون على هذه القضية ان غاية الانسان اللذة . فقال سقراط

---

(١) بعض امثلة على ذلك توجد في محاورات افلاطون (الجمهورية م١ ، ٣٣٧(١) - تيتياتوس ١٤٩/١٥٢) .

على عكس ذلك ، ان للانسان روحاً يسيطر على الحس، فغايته اذن عقلية روحية ، لا تتحقق تماماً الاّ في العالم الآخر حين تكون النفس قد خلصت من الجسم وشواغله، وفرغت لعملها الخاص وهو الفكر .

وواجب النفس ان تتهيأ للعالم الآخر بممارسة الفضيلة ، اذ ان الفضيلة هي خيرها الحقيقي. والفضيلة علم، والرذيلة جهل . وما ان نعلّم الانسان الفضيلة ونبصره بالخير حتى يتوجه اليهما ، اما الشرير فرجل جهل نفسه وخيره ، ولا يمكن ان يقال انه ارتكب الشر عمداً .

لقد اسخط جداله نفراً من الشعراء والخطباء والسياسيين ، فاتهمه ثلاثة من مواطنيه في اواخر ايامه « بانه ينكر آلهة اثينا ويقول بآلهة آخرين ويفسد عقائد الشباب » وطلبوا عقاباً له الاعدام . والحقيقة ان البواعث على الاتهام كانت شخصية ، ولكن المتهمين اثاروا القضاة (وكانوا حوالي خمسمائة من عامة الشعب) وذكروا لهم حملات سقراط على الديموقراطية الاثينية لاسرافها في المساواة بين المواطنين في الشؤون العامة دون اعتبار لأقدارهم ، ولاعتمادها في اختيار الرجال المسؤولين على القرعة دون الكفائة . وساعد سقراط من جهته على نفور القضاة منه بما ضمن دفاعه عن نفسه من ترفع وتحد ، فحكموا عليه بالاعدام . سيق الى السجن ومكث به شهراً ، وكان اصدقاؤه وتلاميذه يترددون عليه كل يوم ، وائتمروا فيما بينهم على تهريبه وهيئوا له اسباب الهرب ، ولكنه ابى . فلما حل الاجل شرب السم ومات سنة ٣٩٩ .

افلاطون

(٤٢٧ – ٣٤٧ قبل الميلاد) :

حياته :

ولد افلاطون في اثينا او في اجينا (الجزيرة الواقعة قبالة اثينا) في اسرة عريقة الحسب . ثثقف كأحسن ما يتثقف ابناء طبقته ، وقرأ شعراء اليونان ونظم الشعر التمثيلي. ثم اقبل على العلوم واظهر ميلاً خاصاً للرياضيات . وفي سن العشرين تعرف الى سقراط ، فأعجب بفضله ولزمه . وما كاد يبلغ الثالثة والعشرين حتى اراد نفر من اهله واصدقائه ، وقد اغتصبوا الحكم بمساعدة أسبرطة ، ان يقلدوه « اعمالاً تناسبه » فآثر الانتظار . وطغى الارستقراطيون وبغوا ، وامعنوا في خصومهم نفياً وتقتيلاً ، وصادروا ممتلكاتهم ، ثم انقسموا على انفسهم ، فملأوا المدينة فساداً ، وملأوا قلبه غماً . ولما هزمهم الشعب وقامت الديموقراطية ، انصفت بعض الشيء ، ولكن الديموقراطية اعدمت سقراط فيئس افلاطون من السياسة ، وايقن ان الحكومة العادلة لا ترتجل ارتجالاً ، وانما يجب التمهيد لها بالتربية والتعليم . فقضى حياته يفكر في السياسة ويمهد لها بالفلسفة ، ولم تكن له قط مشاركة عملية فيها .

بعد موت معلمه سقراط اتجه الى ميغارى حيث اتصل باقليدس الرياضي الكبير ، ثم سافر الى مصر واتصل بمدرستها الكهنوتية ، واطلع على علم الفلك . ثم زار جنوب ايطاليا ثم الى صقلية حيث حصل سوء تفاهم بينه وبين ملكها ، فاعتقله الملك وارسله الى جزيرة اجينا التي كانت حليفة اسبرطة ضد اثينا . فعرض في سوق الرقيق ، فافتداه رجل من قورينا وعاد افلاطون الى اثينا .

انشأ في اثينا عام ٣٨٧ مدرسة في ابنية تطل على بستان اكاديموس ، فسميت لذلك « الاكاديمية » . ظل يعلم فيها ويكتب اربعين سنة . وكان مستمعيه من الاثينيين ويونان الجزر وتراقيا واسيا الصغرى ، بينهم بضع نساء . وكان التعليم يتناول جميع فروع المعرفة . وتوفي افلاطون في اثناء حرب فيليبوس المقدوني على اثينا ، فلم يشهد ما اصاب وطنه من انحطاط .

مصنفاته :

افلاطون اول فيلسوف وصلت الينا كتبه كلها ، وهي كثيرة تتفاوت طولاً وقصراً . منها محاورات ومنها رسائل . نسب اليه الاقدمون ستة وثلاثين مصنفاً ، قسموها الى تسعة اقسام سميت « رابوعات » لاحتواء كل قسم على اربعة مصنفات . اما المحدثون

فانهم رتبوها بحسب صدورها ليمكن تتبع فكر الفيلسوف في تطوره . فقسموها الى طوائف ثلاث معتمدين على كتاب « القوانين » (وهو آخر ما كتبه افلاطون) في الاسلوب الادبي والفلسفي . فالمحاورات التي اسلوبها بعيد عن اسلوب « القوانين » هي مصنفات الشباب ، والمحاورات الاقرب هي مصنفات الكهولة ، والمحاورات التي يظهر فيها الجدل الدقيق والجفاف فهي محاورات الشيخوخة .

اما مصنفات الشباب فتسمى « بالسقراطية » لان منها ما هو دفاع عن سقراط ومنها ما هو مثال للمنهج السقراطي . نذكر منها : « احتجاج سقراط » ، على اهل اثينا ، « اقريطون » يذكر فيها ما عرضه هذا التلميذ من الفرار ، وما كان جواب سقراط ، « اوطيفرون » يصف فيها موقف سقراط من الدين ، « غورغياس » في نقد بيان السوفسطائيين وفي اصول الاخلاق ، « بروتاغوراس » في السوفسطائي ، ما هو ، وما الفائدة من تعليمه ، وهل يمكن تعليم السياسة والفضيلة ، والمقالة الاولى من كتاب « الجمهورية » في العدالة ، هل هي وضعية ام طبيعية (والكتاب معروف عند العرب باسم « بوليطيا الصغير » ويعرف ايضاً عندهم باسم «كتاب السياسة ») .

اما مصنفات الكهولة فأهمها « مينون » يحاول فيها ان يحد الفضيلة ، فيعرض نظريته في ان العلم ذكر معارف مكتسبة في حياة سماوية سابقة على الحياة الارضية ، « المأدبة » (او سمبوسيوم او النادي عند الاسلاميين) يدرس الحب ويشرح مذهبه في الحب الفلسفي ، « فيدون » (او « فاذن » عند الاسلاميين) يصوّر المثل الاعلى للفيلسوف ويدلل على خلود النفس ويقص موت سقراط ، « الجمهورية » (تسع مقالات) يرسم المدينة المثلى ، « بارمنيدس » يراجع فيها نظرية (المثل) ، «تيتياتوس » يحد فيها العلم ويعلل الخطأ .

واما مصنفات الشيخوخة فمنها « السياسي » (بوليطيقوس او المدبر ، او مدبر المدينة عند الاسلاميين) يسأل ما هو ، ويعود الى مسائل « الجمهورية » ، « طماوس » يصوّر تكوين العالم ، فيذكر الصانع والطبيعة اجمالاً وتفصيلاً ، وفي « القوانين » تشريع ديني ومدني وجنائي في اثنتي عشرة مقالة ، وهذا الكتاب هو الوحيد الذي خلا من شخص سقراط .

وقد جمعت له ايضاً « رسائل » خاصة .

المعرفة

افلاطون اول فيلسوف بحث مسألة المعرفة لذاتها . وجد نفسه بين رأيين متعارضين : رأي من يرد المعرفة الى الاحساس ويزعم انها جزئية متغيرة (مثل السوفسطائيين) ، ورأي

سقراط الذي يضع المعرفة الحقة في العقل ويجعل موضوعها الماهية المجردة الضرورية . فاستقصى انواع المعرفة ، فكانت اربعة :

١ — **الاحساس** ، وهو ادراك عوارض الاجسام او اشباحها في اليقظة وصورها في المنام .

٢ — **الظن** ، وهو الحكم على المحسوسات بما هي كذلك ، وهذه الاحكام نسبية متغيرة لتعلقها بالمادة .

٣ — **الاستدلال** ، وهو علم الماهيات الرياضية المتحققة في المحسوسات (مثل الحساب والفلك والهندسة والموسيقى) ؛ فان هذه العلوم ، ولو انها تبدأ من المحسوسات وتستعين بها ، الاّ ان لها موضوعات متمايزة من المحسوسات ولها مناهج خاصة ، فمثلاً الحساب علم يبحث عن الاعداد انفسها بصرف النظر عن المعدودات ، والهندسة هي النظر في الاشكال انفسها ، والفلك يفسر الظواهر السماوية بحركات دائرية راتبة ، والموسيقى علم يكشف النسب العددية المقومة للالحان .

هذه العلوم تضع امام الفكر صوراً كلية ، ونسباً وقوانين تتكرر في الجزئيات ، لذا يستخدم الفكر الصور المحسوسة في هذه الدرجة من المعرفة لكن لا كموضوع بل كواسطة لتنبيه المعاني الكلية المقابلة لها والتي هي موضوعه .

٤ — **التعقل** ، وهو ادراك الماهيات المجردة من كل مادة : مثلاً نرى الشيء الواحد كبيراً بالاضافة الى آخر ، صغيراً بالاضافة الى ثالث ، مما يدل على انه في نفسه ليس كبيراً او صغيراً ، وان الكبر والصغر معنيان مفارقان له نطبقهما عليه . وكأن نرى الشيء الواحد-شبيهاً بآخر او مضاداً او مبايناً ، مساوياً او غير مساو ، جميلاً خيراً عادلاً ، الى غير ذلك من الصفات المفارقة للاجسام ، والمتعلقة من غير معاونة الحواس . فنتساءل عن الكبر والصغر والتشابه والتضاد والتباين والتساوي والجمال والعدالة وما اليها ، كيف حصلنا عليها وهي ليست محسوسة ، وهي ضرورية لتركيب الاحكام على المحسوسات . فيلوح لنا حينئذ انها موجودة في العقل قبل الادراك الحسي .

نظرية المثل :

لا بد ان تكون تلك المعاني الضرورية للحكم على المحسوسات موجودة في العقل قبل الادراك الحسي ، لانها هي التي تجعل الحكم ممكناً ، ولأنها مجردة عن المادة وعوارضها ، كاملة ثابتة ؛ فلا يمكن ان تحصل في النفس عن الاجسام الجزئية المتغيرة ، فلا يبقى الاّ انها حصلت في العقل عن موجودات مجردة كاملة ثابتة مثلها ، وان هذه الموجودات ، التي هي مبادئ المعرفة عندنا ، هي ايضاً مبادئ الاجسام ، وان الجسم جزء

من المادة « يشارك » في واحد من تلك الموجودات المجردة ، فيتشبه به ويحصل على شيء من كماله ويسمى باسمه . فالموجودات المجردة « مُثُل » الاجسام (احدها «مثال») يؤلف مجموعها « العالم المعقول » ، كما ان مجموع الاجسام يؤلف العالم المحسوس . والمثال هو الموجود بذاته ، فاذا تحدثنا عنه قلنا « الانسان بالذات ، والماء بالذات والعدالة بالذات » الى غير ذلك . اما الجسم فشبه له وصورة زائلة .

وكما ان الاجسام مترتبة بعضها فوق بعض في انواع واجناس ، فكذلك المثل حتى تنتهي الى واحد يدعوه افلاطون تارة مثال الخير ، ليدل على ان الخيرية مبدأ الايجاد والفيض ، واخرى بمثـــال الجمال ليدل على ان غايتنا القصوى ليست في الجمالات الناقصة الزائلة بل في الجمال بالذات الكامل الدائم ، وثالثة بالصانع يقصد به موجوداً خيراً بالذات اراد ان يفيض خيريته فنظم المادة المضطربة محتذياً المثل ، فكان منها هذا العالم المنسجم الجميل . والثلاثة مرادفة لله .

كيف عرفنا العالم المعقول :

ان شيئاً من التأمل يدلنا على اننا نستكشف المثل في النفس بالتفكير . وما علينا الاّ ان نجرّب الامر في فتى لم يتلقّ الهندسة ، نجده يجيب عن الاسئلة اجابة محكمة ويستخرج من نفسه مبادئ هذا العلم . فاذا كنا نستطيع ان نستخرج من انفسنا معارف لم يلقنها لنا احد ، فلا بد ان تكون كامنة في النفس ، ولما كانت النفس لم تكتسبها من عالم المحسوسات ، فلا بد ان تكون قد اكتسبتها في حياة سابقة على الحياة الراهنة . فكلما ادركت اشباحها بالحواس تذكرتها وحكمت بها على تلك الاشباح . بذلك يفسر اكتسابنا للعلم بالاتصال بين المعقول والمحسوس في النفس ، فالعلم تذكر المثل ، والجهل نسيانها .

وفعلاً يقول افلاطون ان النفس كانت اول امرها في العالم المعقول خالصة من الجسم والمادة ، تشاهد المثل في صحبة الآلهة ، ثم ارتكبت اثماً فكان عقابها الهبوط الى الجسم ، فغشت كثافة مادته على بصيرتها وانستها علمها ، غير ان الحواس اذ تظهرها على الجزئيات تنبه فيها علمها القديم وتستحثها على استكماله .

قصة الكهف :

هذا العالم المعقول مثلنا معه مثل اناس وضعوا في كهف منذ الطفولة ، واوثقوا بسلاسل ثقيلة بحيث لا يستطيعون نهوضاً ولا مشياً ولا تلفتاً ، واديرت وجوههم الى داخل الكهف ، فلا يملكون النظر الاّ امامهم مباشرة ، فيرون على الجدار ضوء نار

عظيمة ، واشباح اشخاص واشياء تمرّ وراءهم . ولما كانوا لم يروا في حياتهم سوى الاشباح ، فانهم يتوهمونها اعياناً . فاذا اطلقنا احدهم وادرنا وجهه للنار فجأة ، فانه ينبهر ويتحسر على مقامه المظلم ، ويعتقد ان العالم الحق معرفة الاشباح . ثم يفيق من ذهوله وينظر الى الاشياء في ضوء الليل الباهت ، او الى صورها المنعكسة في الماء، حتى تعتاد عيناه ضوء النهار ويستطيع ان ينظر الى الاشياء انفسها ثم الى الشمس مصدر كل نور .

فالكهف هو العالم المحسوس ، وادراك الاشباح المعرفة الحسيّة ، والخلاص من الجمود ازاء الاشباح يتم بالجدل ، والاشياء المرئية في الليل او في الماء الانواع والاجناس والاشكال ، اي الامور الدائمة في هذه الدنيا . فالاشياء الحقيقية المثل ، والنار ضوء الشمس ، والشمس مثال الخير ارفع المثل ومصدر الوجود والكمال . فالفيلسوف الحق هو الذي يميز بين الاشياء المشاركة ومثلها ، ويجاوز المحسوس المتغير الى نموذجه الدائم، ويؤثر الحركة على الظن فيتعلق بالخير بالذات والجمال بالذات .

الوجود

الله :

يبرهن افلاطون على وجود الله بواسطة الحركة والنظام . ويميز افلاطون سبع حركات : حركة من يمين الى يسار ، ومن يسار الى يمين ، ومن امام الى خلف ، ومن خلف الى امام ، ومن اعلى الى اسفل ، ومن اسفل الى اعلى ، وحركة دائرية . وحركة العالم دائرية منتظمة لا يستطيعها العالم بذاته ، فهي معلولة لعلة عاقلة، وهذه العلة هي الله ، اعطى العالم حركة دائرية على نفسه وحرمه الحركات الست الاخرى (وهي طبيعية فمنعه من ان يجري بها على غير هدى (محاورة تيماوس ٣٤ (ا) و٤٣(ب)).

اما بخصوص النظام فيقول ان العالم آية فنية غاية في الجمال ، ولا يمكن ان يكون النظام البادي فيما بين الاشياء بالاجمال ، وفيما بين اجزاء كل منها بالتفصيل، نتيجة علل اتفاقية ، ولكنه صنع عقل كامل توخي الخير ورتب كل شيء عن قصد .

فيعرف افلاطون الله بانه روح عاقل ، محرك ، منظم ، جميل ، خير ، عادل ، كامل . وهو بسيط لا تنوّع فيه ، ثابت لا يتغير ، صادق لا يكذب ، ولا يتشكل اشكالاً مختلفة، كما صوره الشعراء . وهو كله في حاضر مستمر ، فان اقسام الزمان لا تلائم الاّ المحسوس ونحن حينما نضيف الماضي والمستقبل الى الجوهر الدائم فنقول كان وسيكون ، ندل على اننا نجهل طبيعته ، اذ لا يلائمه سوى الحاضر . وهو معني بالعالم .

العالم :

يعرض افلاطون قصة تكوين العالم في محاورة « تيماوس » . وتيماوس فيثاغوري ، انطقه افلاطون لان تكوين العالم قائم على مبادئ عقلية رياضية .

كان العالم في الاصل « مادة رخوة » اي غير معينة ولكن قابلة للتعيين . فليست العناصر (الماء ، الهواء ، النار ، التراب) مبادئ الاشياء لأنها معينة من جهة ، ولأنها من جهة اخرى تتحول بعضها الى بعض ، فيدلنا هذا التحول على انها صور مختلفة تتعاقب في موضوع واحد غير معين في ذاته .

هذه المادة الاولى كانت تتحرك حركات اتفاقية ، تلك الحركات الست (دون الحركة الدائرية) من غير نفس تدبرها . فاتحدت ذراتها على حسب تشابهها في الشكل وألفت العناصر الاربعة : النار ، مؤلفة من ذرات هرمية ، اي ذات اربعة اوجه تشبه سن السهم ، لذلك كانت اسرع الاجسام وانفذها ؛ والهواء مؤلف من ذرات ذات ثمانية اوجه ، اي من هرمين ؛ والماء من ذرات ذات عشرين وجهاً ؛ والتراب اثقل الاجسام من ذرات مكعبة . وبعد ان تنظمت المادة هذا النوع من التنظيم بتوزعها عناصر اربعة — وهو اقصى ما تستطيع ان تبلغ اليه بذاتها — ظلّت العناصر مضطربة هوجاء « كما يكون الشيء وهو خلو من الآلهة » حتى عين الصانع لكل منها مكانه ورتب حركته (تيماوس ٥٢—٥٧) .

ثم فكر الصانع في ان يجعل العالم ابدياً ، لا كأبدية النموذج ، فانها ممتنعة على الكائن الحادث ، فعني بصنع « صورة متحركة للابدية الثابتة » فكان الزمان يتقدم على حسب قانون الاعداد ، وكانت الايام والليالي والشهور والفصول ، ولم تكن من قبل . ورأى الصانع ان خير مقياس للزمان حركات الكواكب . فاخذ ناراً وصنع الشمس والقمر والكواكب الاخرى مشتعلة مستديرة ، وجعل لكل منها نفساً تحركه وتدبره . ولما كان مبدأ التدبير إلهياً بالضرورة فقد صنع هذه النفوس مما تخلف بين يديه بعد صنع النفس العالمية ، الاّ انه جعل تركيبها اقل دقة من تركيب هذه ، فكانت ادني منها مرتبة ، ولكنها إلهية مثلها عاقلة خالدة ، يأتيها الخلود لا من طيب عنصرها بل من خيرية الصانع تأبى عليه ان يعدم احسن ما صنع .

النفس الانسانية :

يقول افلاطون ان النفوس البشرية كانت في عالم الكواكب تتبعها ، كما في عربة ، لتطل على عالم المثل . وعجزت في احدى محاولاتها ، عن اللحاق بنفوس الكواكب ، وبلوغ قبة السماء ، ومشاهدة عالم المثل ، فهبطت من علوها ، وحلت في ابدان بشرية.

واذن هبوط النفس الى البدن نتيجة عجز ؛ ومن باب التجوز ، يدعو افلاطون عجزها جناية ، وهبوطها عقاباً .

اما رأي افلاطون في ماهية النفس وعلاقتها بالجسم فلا يخلو من التردد والغموض . ففي المحاورة الواحدة (الفيدون) يحد النفس تارة بانها فكر خالص ، وطوراً بانها مبدأ الحياة والحركة للجسم ، دون ان يبين ارتباط هاتين الخاصتين ، ولا ايتهما الاساسية . كذلك الحال في علاقة النفس بالجسم : فتارة يعتبرهما متمايزين فيقول ان الانسان النفس ، وان الجسم آلة ؛ وتارة يضع بينهما علاقة وثيقة ، فيذهب الى ان الجسم يشغلها عن فعلها الذاتي (الفكر) ويجلب لها الهم بحاجاته وآلامه ، وانها هي تقهره وتعمل على الخلاص منه (فيدون) ، دون ان يبين افلاطون ماهية هذا التفاعل ، بل هو يذهب بهذا التفاعل الى حد علاج الجسم بالنفس والنفس بالجسم (تيماوس) وقيام الشعور والادراك في النفس عند تأثر الجسم بالحركة المادية على ما بين هذه الحركة والظاهرة النفسية من تباين .

وفي « الجمهورية » يرد الافعال النفسية الى ثلاثة : الادراك والغضب والشهوة ، ويسأل هل يفعل الانسان بمبادئ مختلفة ، ام مبدأ واحداً بعينه هو الذي يدرك ويغضب ويحس لذات الجسم ؟ فيقرر ان المبادئ عدة ، لان شيئاً ما لا يُحدث ولا يقبل فعلين متضادين في وقت واحد ومن جهة واحدة ، فلا يضاف اليه حالات متضادة الاّ بتمييز اجزاء فيه ، فيجب ان نميز في النفس جزءا ناطقاً وجزءا غير ناطق ، لما نحسه فينا من صراع بين الشهوة تدفع الى موضوعها والعقل ينهى عنه . ولنفس السبب يجب ان نميز في الجزء غير النطقي بين قوتين هما الغضب والشهوة : الغضب متوسط بين الشهوة والعقل ، ينحاز تارة الى هذا ، وطوراً الى تلك ، ولكنه يثور بالطبع للعدالة ، ونحن لا نغضب على رجل مهما يسبب لنا من ألم اذا اعتقدنا انه على حق ؛ لذلك كثيراً ما يناصر الغضب العقل على الشهوة ، ويعينه على تحقيق الحكمة في ما هو خلو من العقل والحكمة (الجمهورية ، م ٤) . وهذا كلام يدل على وجود قوى ثلاث في النفس الواحدة . ولكن افلاطون (في محاورة تيماوس) يضع ثلاث نفوس ، ويعين لكل منها محلاً في الجسم ، فيضيف الى صعوبة التوفيق بين النفس والجسم صعوبة التوفيق بين النفوس الثلاث . وفي محاورة (فيذروس) يشبه النفس في حياتها السماوية الاولى بمركبة مجنحة ، الحوذي فيها العقل ، والجوادان الارادة والشهوة . وكلامه في (تيماوس) يشعر بان الغضبية والشهوانية صنعهما الآلهة للحياة الارضية والوظائف البدنية .

اما فيما يتعلق بخلود النفس فقد اختص افلاطون هذه المسألة بقسط كبير من عنايته ؛ ذكرها في جميع كتبه ، فخصص لها محاورة (فيدون) حيث يأتي بثلاثة ادلة : اولها عرض لرأي متواتر يقول ان النفس التي تولد في هذه الدنيا تأتي من عالم آخر

كانت ذهبت اليه بعد موت سابق ، وان الاحياء يبعثون من الاموات ؛ فاذا صح هذا الرأي فان النفس لا تموت بموت الجسم . لكن هذا تسليم برأي لا تدليل . والدليل الثاني يدور على تعقل المثل : فان المثل بسيطة ، ومن ثمة فهي ثابتة ، اذ ان المركب هو الذي ينحل الى بسائطه ويتحول ، اما البسيط فلا يجوز عليه تحول او انحلال ، فلا بد ان تكون النفس التي تعقل المثل شبيهة بها ، على حسب القول القديم : « الشبيه يدرك الشبيه » . وعلى ذلك فالنفس بسيطة ثابتة (الفيدون ، وهذا الدليل وارد في الجمهورية ايضاً ، م ١٠) . والدليل الثالث قائم على نظرية المشاركة : لما كانت النفس حياة ، فهي مشاركة في الحياة بالذات ، ومنافية للموت بالطبع ، وليست تقبل الماهية ما هو ضد لها ؛ فالنفس لا تقبل الموت (الفيدون) . في نهاية حياتها الارضية الاولى ، تعود النفس الى العالم الآخر : الصالحة الى السماء تنعم فيها ، والشريرة الى احشاءالارض تكفر عن آثامها .

بعض نفوس الاشرار قد تخلد في العذاب ، وقد تفنى ، لكثرة ما تمادت في الاثم. اما باقي النفوس الشريرة ، وكل النفوس الصالحة ، فتعود ، بعد الف سنة ، الى اجسام جديدة ، الى تناسخ اول . تختار هذه النفوس بالقرعة نوع حياتها الجديدة ، ونوع بدنها ، فتكون رجلاً او امرأة ، او حيواناً ؛ وتسلك سبُلاً من العيش لا تحصى . وقد تختار نفس صالحة حياة سيئة ، كما قد تختار شريرة حياة سعيدة . ثم تشرب كل هذه النفوس شراباً ينسيها كل ما رأت ، وتنام لتستيقظ نصف الليل ، على صوت صاعقة ، وتغور عبر السماء حتى تنتهي الى ما اختارت من اجسام ارضية .

ويتكرر التناسخ لهذه النفوس الف سنة بعد الف ، بعضها يشقى وبعضها ينعم ، الى ان يتم لها عشرة آلاف سنة من التناسخ والجهاد . وحينئذ تعود جميعها الى عالم الكواكب ، وتقوم بمحاولات جديدة لتطل على عالم المثل . فللنفوس البشرية ادوار : كل عشرة آلاف سنة تحاول مشاهدة المثل : ان استطاعت عاشت دورة عشرة آلاف سنة اخرى سعيدة في عالم الكواكب ، وان عجزت هبطت الى عالم الابدان مدة عشرة آلاف تتجسد وتتناسخ ، وتعود في نهايتها الى عالم الكواكب لتقوم بمحاولة جديدة .

الاخلاق

قال السوفسطائيون : ان القانون الخلقي الذي يخشاه الناس انما هو من وضع الناس كالقانون المدني ، لا من وضع الطبيعة ، بل ان الطبيعة تأبـــاه وتعارضه : فبحسب الطبيعة الامر الأقبح هو الأخسر ، والأخسر تحمل الظلم ، وبحسب القانون الخلقي ارتكاب الظلم هو الأخسر الأقبح .

ولقد نشأ هذا التباين من ان القانون سنه الضعفاء والسواد الاعظم بالاضافة الى مصلحتهم الخاصة ، فقصدوا الى تخويف الاقوياء وصدهم عن التفوّق عليهم ، وذهبوا الى ان النظام يقوم بالذات في ارادة التسامي على الآخرين . ولكن الطبيعة تقدم الدليل على ان العدالة الصحيحة تقضي بان يتفوّق الاحسن الاقدر ، وان علامة العدالة سيادة القوى على الضعيف ، واذعان الضعيف لهذه السيادة .

ثم يلاحظ ان الكل يطلب السعادة ، فكيف يستطيع ان يعيش سعيداً من يخضع لأي شيء كان ، قانوناً ام انساناً ؟ الاّ ان العدالة والفضيلة والسعادة بحسب الطبيعة ان يتعهد الانسان في نفسه اقوى الشهوات ، ثم يستخدم ذكاءه وشجاعته لارضائها مهما تبلغ من قوة ، مع تظاهره بالصلاح لأسكات العامة والانتفاع بحسن الصيت ، ولا يتسنى هذا لغير الرجل القوي .

يلاحظ افلاطون على هذا القول فيسأل : ان كانت الكثرة هي التي فرضت القانون ، فهي الاحسن من حيث انها الاقدر وقوانينها حسنة حسب الطبيعة لانها قوانين الاقدر . وان كانت ترى ان العدالة تقوم في المساواة وان الظلم اقبح من الانظلام ، فرأيها مطابق للطبيعة ، واذن لا تعارض بين الطبيعة والقانون .

ثم هل الاقوى هو الاسعد ؟ كلا ، ان حياته مخيفة تعسة ، هو يميل الى الاسراف في شهوته ، ولما كان الاشتهاء ألماً من الحرمان ، كان انماء الشهوات لاجل ارضائها عبارة عن تعهد آلام في النفس لا يهدأ ، وكانت حياة الشهوة موتاً متكرراً ، مثلها مثل الدن المثقوب تصب فيه فلا يمتلئ ، او مثل الاجرب لا يفتأ يحس حاجته لحك جلده فيحك بقوة فتزيد حاجته ويقضي حياته في هذا العذاب . مثل هذا المخلوق لا يمكن ان يحبه الناس ، ولا ترضى عنه الآلهة ، بل لا تمكن معاشرته ، فلا يذوق لذة الصداقة ، فهو شقي للغاية ، والدولة التي يحكمها اشقى الدول .

الفضيلة :

الفضائل ثلاث تدبر قوى النفس الثلاث : الحكمة فضيلة العقل تكمله بالحق ، والعفة فضيلة القوى الشهوانية تلطف الاهواء فتترك النفس هادئة والعقل حراً ، ويتوسط هذين الطرفين الشجاعة وهي فضيلة القوة الغضبية تساعد العقل على الشهوانية فتقاوم اغراء اللذة ومخافة الالم .

والحكمة اولى الفضائل ومبدؤها ، فلولا الحكمة لجرت الشهوانية على خليقتها ، وانقادت لها الغضبية . ولو لم تكن العفة والشجاعة شرطين للحكمة تمهدان لها السبيل وتشرفان بخدمتها ، لما خرجنا من دائرة المنفعة الى دائرة الفضيلة ، اذ « ما الهرب من